# كتب جديدة

## دراسات في الواقع المصري المعاصر

**بقلم لطفي الخولي . دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٤**

في الايام الاربعة السابقة للاحتفال التاسع بذكرى ثورة ٢٣ تموز ( يوليو ) ١٩٥٢ ، توالى صدور القوانين التي خطت بالثورة الوطنية نحو بناء اجتماعي — اقتصادي جديد. وعقب ذلك برز في سنة ١٩٦٢ « ميثاق العمل الوطني » والاتحاد الاشتراكي العربي اللذان يوضحان فلسفة الثورة الوطنية واستراتيجيتها وتكتيكها . ولما كانت اهداف هذه الثورة التغيير الشامل لا الاصلاح السطحي في المجتمع ، فلا بد للمجتمع الجديد من ان يختلف عما كان عليه قبل الثورة وان يتصف ببنيان وقيم وعلاقات اجتماعية جديدة تؤمن حرية الشعب في ظل الكفاية والعدل . وهدف الكتاب الذي نحن بصدده هو تبيان بعض خصائص المجتمع المصري المتأتية عن قوانين تموز ( يوليو ) ١٩٦١ وعن ميثاق العمل الوطني والاتحاد الاشتراكي العربي . وبالاضافة الى ذلك ، فقد ألحق المؤلف بكتابه النصوص الكاملة لقوانين تموز ( يوليو ) ١٩٦١ ، والقانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي ، وميثاق العمل الوطني .

لقد كان لصدور قوانين ١٩ — ٢٢ تموز (يوليو) ١٩٦١ اكبر الاثر في اعادة تنظيم المجتمع المصري. وقاعدة هذا التنظيم هي تأميم معظم وسائل الانتاج للقضاء على استغلال الطبقة الرأسمالية ولضرب اعداء الاشتراكية ضربة قاضية . اما اهداف هذا التنظيم فهي التنمية والتحرير الاجتماعي للشعب . ويقول المؤلف بأنه كان لا بد من التطور نحو الاشتراكية للوصول الى هذه الاهداف ، لان النظام الرأسمالي قاصر وغير صالح للتنمية في عصرنا الحاضر . ولا يخالط الاستاذ لطفي الخولي اي شك في حتمية التطور نحو النظام الاشتراكي ، وبصورة خاصة اذا كانت الدولة تهدف الى زيادة الانتاج وزيادة قوة الجماهير الشرائية في آن واحد .

واشتراكية الثورة الوطنية بمعناها الشامل لا تقتصر على الحقل الاقتصادي، بل تتعداه الى الحقلين الاجتماعي والسياسي . انها اشتراكية ديمقراطية تعاونية في نظم واساليب الحياة العامة والخاصة . ويتجلى مفهوم هذه الاشتراكية في ميثاق العمل الوطني الصادر في ٢١ ايار (مايو) ١٩٦٢، والذي هو بمثابة البوصلة التي تشير الى التحرر الاجتماعي بعد العبودية ، والتعاون بعد الاستغلال ، والتغيير بعد الاصلاح السطحي ، والتقدم بعد التخلف . ومن اجل ضمانة استقلال الدولة وتحرر الشعب وسيادته على امورها فقد بين الميثاق الخطوط العريضة للعمل الثوري .

ولكن ما هي الاهداف الثورية المنشودة ؟ هنا يفرق المؤلف بين الاهداف التي قد تتطلب وقتاً ليس بالقصير لتحقيقها وبين الاهداف المزمع الوصول اليها في المستقبل القريب . اما الفئة الاولى من الاهداف فتتضمن حرية الوطن وتحرير المواطن ، ووحدة الوطن العربي ، والاشتراكية في مجتمع تسوده الكفاية والعدل. واهم ما جاء في الفئة الثانية من الاهداف هو العمل على مضاعفة الدخل القومي في الثاني سنوات الواقعة فيما بين ١٩٦٢ و ١٩٧٠،

هذا بالاضافة الى العمل من اجل الحرية الاجتماعية والسلام العالمي ومتابعة النضال ضد الاستعمار وقيوده السياسية والعسكرية .

ان تحقيق هذه الاهداف يستوجب اسلوباً ثورياً اشتراكياً مبنياً على اساس العلم والتجربة ، كما وانه يتطلب اجهزة فنية واقتصادية واجتماعية ، مثل « جهاز التخطيط المركزي » و « القطاع العام » و « الديمقراطية » كوسائل للتنمية . ولكي تقوم الثورة الوطنية بواجبها، يجب ان تعتمد على مركزية في التخطيط ولا مركزية في التنفيذ ، وان تلجأ الى قطاع عام قوي يتولى التنسيق فيما بين عملياته وعمليات القطاع الخاص المتبقي. لهذه الاسباب نرى ان المؤلف يمجد قوانين تموز ( يوليو ) ١٩٦١ .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد بين الميثاق ضرورة الوحدة الوطنية لمتابعة العمل الثوري ، ورسم الخطوط الاساسية للاتحاد الاشتراكي العربي وللمجالس الشعبية والنيابية المنبثقة عنه. وفي كل هذه التنظيمات العملية كان الاهتمام بالغاً في الحرص على الجو الديمقراطي ، وجماعية القيادة ، وتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة .

ولعل ابرز قضية في اعادة بنيان اي مجتمع حديث هي قضية الديمقراطية . وللديمقراطية تاريخ طويل عند اكثر شعوب العالم يكشف عن الصراع الطبقي ويميز بين تطبيقات عديدة للديمقراطية ناتجة عن نوعية هذا الصراع . ويقول المؤلف بهذا الصدد ان واقع الديمقراطية الغربية في المعسكر الرأسمالي يحصر القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الطبقة الرأسمالية التي تتمتع بمفردها بالديمقراطية . بينما ان واقع الديمقراطية الاشتراكية الشيوعية يجرد الطبقات البرجوازية من كل امتيازاتها المادية والمعنوية وينقل السيادة الى الطبقة العاملة التي تكوّن دولة البروليتاريا .

اما المفهوم الرئيسي الثالث للديمقراطية فينحصر في بلاد الثورات الوطنية الجديدة التي تضم مصر وغينيا والجزائر وغيرها . وواقع هذه الديمقراطية هو تحرير الشعب السياسي من الاستعمار وقيوده المختلفة، والقفز بالشعب للتحرر من التخلف ولتنمية الاقتصاد الوطني. وان كانت هذه الديمقراطية تهدف الى تقوية القطاع العام ، فهي تختلف عن غيرها بالمحافظة على قطاع خاص محدود يسمى « بالرأسمالية الوطنية » يستثمره حلفاء الثورة من الرأسماليين الصغار والمتوسطين .

ولما كان تحالف ووحدة قوى الشعب ضروريين لمواجهة الاستعمار ومشاكل التخلف الاقتصادي ، فقد عمدت اكثر الثورات الوطنية الى تنظيم سياسي واحد يضم القوى المنتجة في البلاد . وبعد محاولتين فاشلتين في العشر سنوات السابقة في مصر ، ظهر في ١٩٦٢ الاتحاد الاشتراكي العربي تحقيقاً لديمقراطية الثورة الوطنية الجديدة . اما سيادة الشعب في هذه المحاولة فمبنية على تنظيمات الاتحاد الاشتراكي العربي التي تضم بين اعضائها ما لا يقل عن خمسين في المائة من الفلاحين والعمال باعتبارهم الاكثرية الشعبية .

هذه هي النقاط الرئيسية التي يثيرها الاستاذ لطفي الخولي في كتابه « دراسات في الواقع المصري المعاصر » . ومما لا شك فيه ان هذا الكتاب يملأ فراغاً في تراثنا الفكري الحديث ، لأنه يتناول بعض قضايا الثورة الوطنية الجديدة التي كان لها اكبر الاثر في تغيير معالم المجتمع المصري بصورة خاصة، والمجتمع العربي بصورة عامة . ونحن بأمس الحاجة في الوقت الحاضر الى عرض قضايا الثورات الوطنية ووسائلها لا لمجرد المعرفة فحسب، بل لعلنا نستزيد خبرة ودراية من جراء البحث والمناقشة . وكتاب الاستاذ الخولي يستحق الثناء لسبب آخر . انه بصورة عامة ينصف قوانين تموز (يوليو ) ١٩٦١ وميثاق العمل الوطني والاتحاد الاشتراكي العربي ويعطيها حقها في الاشارة الى بعض مميزات المجتمع المصري الناتجة عنها .

الا ان لهذه الدراسات المجموعة بعض النواقص التي لا بد لنا من التعرض اليها . فالمؤلف ، في

حماسه البـــالغ ، قد أساء فهم الديمقراطية الغربية وواقعها في بلاد المعسكر الرأسمالي كفرنسا وبريطانيا وامريكا . وايفاء لمتطلبات البحث المتجرد ، يمكن القول بأن الديمقراطية في هذه المجتمعات لا تنحصر في الطبقة الرأسمالية ، كما وان هذه الطبقـة ليست متحالفة وموحدة ، اذ ان مغـــانم بعض افرادها تصحبها مخاسر للافراد الآخرين . وواقع الحال في هذه المجتمعات ان الطبقات الرأسمالية ، والمموّلين، والنقابات العمالية ، واتحادات المزارعين، والهيئات التي تمثل مختلف الموظفين والفنيين واصحاب المهن ، تارة يتنافسون وتارة اخرى يتآزرون مع بعضهم البعض في جو من الحريـــة تصونه الدولة لكبت الاستغلال وتعديل توزيع المغانم .

والكتـــاب يغفل ايضاً عن التحليل والتعليل العلميين لاطرادالتقدم والتنمية في مجتمعاتالمعسكر الغربي، في حين ان المؤلف يعلن « افلاس » النظام الرأسمالي . الا ان المحافظة على « الرأسمالية الوطنية» في مجتمعات الثورات الوطنية تتناقض وقول المؤلف بأن « الاسلوب الرأسمالي للتنمية لم يعد ممكنـاً ولا منتجاً في عصرنا » . فكيف يوفق المؤلف بين هذين الموقفين ؟ وما هو الدور الذي تلعبه « الرأسماليـة الوطنية » في التنمية ؟ واذا اصبنا في الاستنتاج من هـذه الاسئلة والملاحظات بأن للاسلوب الرأسمالي بعض الفوائد، فما هي هذه الفوائد؟ واخيراً ، حبذا لو بين المؤلف عقائد الثورة الوطنية المتعلقة بطبيعة الانسان البشرية، لان في ذلك ما قد يزيد في تعليل وتوضيح اتجاهات الثورات الوطنية الحديثة .

وهنالك قضايا عديدة اخرى في صميم دراسات الاستاذ لطفي الخولي كان من المستحسن البحث فيها لينجز الكتاب رسالة اكمل . واذكر على سبيـــل المثـــال : دراسة تأثير الواقع المصري على السياسة الخارجية ، وبالتالي تأثير سلوك الدول الاجنبية تجاه مصر ، وتأثير الرأي العالمي على السياسة الخارجيـة وعلى المجتمع المصري . وكذلك الدراسة الموضوعية


بريـــف

PREUVES

مجلة ثقافية جامعة

تصدر بالفرنسية مرة كل شهر

يحررهـــا

فرانسوا بوندي

جاك كارا

جان بلوك ميشيل

في طليعة مجلات فرنسا اليوم

●

عرض خاص لمشتركي « حوار »

يعطى كل مشترك في «حوار» حسماً قدره عشرون بالمائة اذا اشترك ايضاً في «بريف»

اشتراك « بريف » العادي

٣٦ فرنكاً

●

عنوان المجلة

18, Avenue de L'Opera, Paris 1.

للشروط التي تساعد على تحقيق التنمية نتيجة لتأميم وسائل الانتاج والشروط التي قد تنتج اتجاهاً معاكساً لما تهدف اليه الدولة . واخيراً ، الدراسة الوافية لقضية الاحزاب السياسية وتحليل المشاكل والمعاني الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يتضمنها وجود حزب او حزبين او اكثر في المجتمع .

واني وان بينت بعض القضايا التي، في نظري ، اغفلها الكتاب الى حد ما ، أود ان انهي كلمتي بقولي ان لدراسات الاستاذ الخولي قيمتين كبيرتين، اولاهما فكرية وثانيتهما موضوعية .

**بهاء ابو لبن**

# لحظة بريطانيا في الشرق الأوسط

*Britain's Moment in the Middle East* : 1914 - 1956,
by Elizabeth Monroe . Chatto & Windus , 1963

« اللحظة » التي يبحث عنها هذا الكتاب هي الاربعون عاماً الممتدة من سقوط بغداد والقدس في يد القوات البريطانية في سنة ١٩١٧ الى ازمة السويس في سنة ١٩٥٦ . ففي هذه الفترة ( التي تعتبرها المس مونرو ، مؤلفة الكتاب ، مجرد لحظة بالنسبة لتاريخ الشرق الاوسط الطويل ) كانت بريطانيا القوة الرئيسية ومالكة النفوذ الاقوى في الجزء الاعظم من الشرق الاوسط . والمؤلفة تأخذ هذه الفترة في كتابها وتحاول ان تدرس كيف خلقت بريطانيا مركز القوة هذا ، والاغراض التي استهدفها نفوذها في الشرق الاوسط ، ثم الاسباب التي ادت، بعد عام ١٩٤٥، الى انحطاط وتدهور ثم زوال هذا النفوذ .

في الواقع ليس في الفصول التي تدرس فيها المؤلفة تاريخ العلاقات البريطانية — العربية ، من بدايتها خلال الحرب العالمية الاولى ومراسلات الحسين — مكماهون ، الى مؤتمر الصلح ، ثم الى اقتسام البلاد العربية بين بريطانيا وفرنسا ، شيء جديد ، « جديد » بمعنى تقديم وثيقة كانت مجهولة تماماً عند المختصين في هذه الفترة ، او عرض وجهة نظر جديدة لم يسبق عرضها من قبل . لكن هذا لا يقلل مطلقاً من اهمية هذه الفصول ، فهي ( والكتاب كله ) مكتوبة بلغة انكليزية انيقة وواضحة جاذبة للقراءة : ولكن الأهم هو ان الصورة التي تقدمها المس مونرو لهذه الفترة موزونة ، تعطى فيها العناصر المختلفة التي ادت الى خلق النفوذ البريطاني في العالم العربي ( وبديهي انه يهمنا هنا العالم العربي اكثر من ايران التي تبحث عنها المس مونرو ايضاً ) — تعطى فيها العناصر المختلفة اوزانها الحقيقية . ان بريطانيا لم تصل الى مركز القوة الذي كانت تحتله في العالم العربي بمجرد سياسة مكيافيلية مرسومة من امد بعيد ، ولا هي ، طبعاً ، قد اعطيت هذا المركز صدفة بدون ان تكون راغبة فيه. ان المس مونرو، على نقيض بعض الذين تصدوا للكتابة عن هذه الفترة ، لا تبسط ما هو غير بسيط .

والمس مونرو ترى كذلك ان الوعود المتناقضة والمتعاكسة التي اعطتها بريطانيا ، في بدء هذه الفترة ، للعرب وللصهيونية العالمية بشأن فلسطين قد زرعت ، منذ البدء ، بذور الشك والخصام في ارض العلاقات البريطانية — العربية . والسؤال الذي يسأله كل من يفكر في هذا الموضوع هو هل كان بالامكان ان لا تزلزل هذه الارض وان لا تميد تحت اقدام بريطانيا لو لم تحتو على بذور ( او

لنقل ديناميت ) المشكلة الفلسطينية ؟ تعتقد المس مونرو ان ما حدث كان امراً محتماً لتزايد الوعي القومي عند العرب ومطالبتهم بالاستقلال الكامل لأقطارهم . وهي وجهة نظر اوافقها عليها. ولكن ألم يكن باستطاعة بريطانيا ان ترضخ لهذا الوعي القومي العربي، كما رضخت للوعي القومي الهندي، وان تمنح الاقطار العربية استقلالها كما منحت الهند، فتحتفظ بصداقتها ؟

في الاجزاء المخصصة لتحليل الوسائل التي استعملتها بريطانيا لإدامة نفوذها في العالم العربي تتخذ المؤلفة الموقف الموزون و « الوسطي » نفسه الذي اتخذته في الاجزاء الاولى التي اشرنا لها . انها تصرح بأن بريطانيا قد استعملت « سياسة فرق تسد » للاحتفاظ بنفوذها في العالم العربي ، من جهة ، ولكنها تسجل ان الانقسامات العربية نفسها كانت موجودة، بحد ذاتها، من جهة اخرى. ان ضعف هذه الاجزاء من الكتاب ينشأ عن ان المؤلفة لم تدرس دراسة وافية العوامل العربية الداخلية ، السياسية والاجتماعية — الاقتصادية ، التي مكنت بريطانيا من الاحتفاظ بنفوذها طيلة هذه الفترة . ان كتاب فيليب ايرلاند عن العراق، مثلاً ، يظهر العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي ادت لإدامة النفوذ البريطاني في العراق حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ . ان القيام بشيء من هذا كان سيزيد من قيمة الكتاب . ولكننا قد لا نملك في الواقع حق مطالبة المؤلفة بهذا ، فكتابها يدرس العلاقات البريطانية — العربية من الزاوية البريطانية المحضة تقريباً . وعلى هذا نجد ، مثلاً ، ان الاجزاء التي تكتب فيها المؤلفة عن الحوار الذي كان قائماً بين البريطانيين انفسهم من مؤيدي الفكرة الاستعمارية ومعارضيها رائعة ومفصلة ، كما ان استعراضها لوجهات نظر وزارتي المستعمرات والحربية البريطانية المختلفة للعالم العربي واضح جداً.

في الجزء الاخير من الكتاب تكتب المؤلفة عن فترة تدهور السيطرة البريطانية على العالم العربي . وهي تؤرخ هذه الفترة من انتهاء الحرب العالمية الثانية ، التي اضعفت بريطانيا وانزلتها الى مرتبة دول الدرجة الثانية. وهي ترى — كما هو الواقع — ان انتهاء العزلة العربية عن المجتمع الدولي الفعال بظهور القوى المنافسة لبريطانيا في الشرق الاوسط (الاتحاد السوفياتي) قد ساعد العرب على التخلص من السيطرة البريطانية .

ان المؤلفة تجيز موقف بريطانيا في العراق في سنة ١٩٤١ وفي مصر سنة ١٩٤٢ بضرورات الحرب. ألم يكن بامكان بريطانيا ان تتخذ في هذين العامين موقفاً آخر ؟ الشيء الذي اعتقده هو ان موقف تشرشل وكورنواليس في العراق ، والسر مايلز لامبسون في مصر ، كانا عنصراً فعالاً في اتخاذ بريطانيا للدور المذل للكرامة العربية الذي اتخذته في حادث ٤ شباط ( فبراير ) ١٩٤٢ في مصر وفي حركات رشيد عالي الكيلاني في العراق . ومهما يكن من امر، فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اعطيت بريطانيا فرصة جديدة لمسح الجروح التي تسببت عن هذين الحادثين ، وكان ذلك ممكناً بالجلاء عن مصر والعراق ، كما جلت عن الهند . ولكن بريطانيا لم تفعل ذلك . وكان هذا مفارقة سياسية : فبريطانيا قد بدأت بعد سيطرتها الى العالم العربي للمحافظة على طريق الهند ، « اغلى جوهرة في التاج البريطاني » ، ولكنها ارادت الاحتفاظ بهذه السيطرة في الوقت الذي كانت قد تنازلت فيه عن الهند . الوسيلة عندها كانت قد اصبحت غاية: فما يحدث مراراً في الحياة الشخصية، يحدث كذلك في الحياة السياسية .

وختاماً ، هذا الكتاب الذي استعرضته كتاب قيم يجب ان يقرأه كل من يهتم بموضوع العلاقات البريطانية — العربية .

**خلدون ساطع الحصري**

# الطريق

## بقلم نجيب محفوظ . مطبوعات مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٤

رواية « الطريق » تكتمل ثلاثية جديدة لنجيب محفوظ ، تبدأ من « اللص والكلاب » وتمر في طريقها « بالسمان والخريف » . ولا اقصد هنا ثلاثية بالمعنى التقليدي للكلمة ، حيث يتتبع الكاتب في اجزائها شرائح متتالية من حياة شخصياته ، والذي قدم بموجبه نجيب محفوظ ثلاثيته « بين القصرين » و « قصر الشوق » و « السكرية » : ولكن ثلاثية بالمعنى الفكري .

فقد عمد الكاتب خلال هذه الثلاثية الجديدة الى تقصي الزوايا المختلفة للقضية الانسانية خلال الاطار الملائم لكل زاوية والخاص بها . وبذلك قدمت كل من الروايات الثلاث بعداً فكرياً وفلسفياً ، باضافته الى البعدين الآخرين اللذين سجلتهما كل من الروايتين الباقيتين تكتمل لدينا رؤية كاملة الابعاد الى قضية الانسان المعاصر — وان كانت هذه الرؤى العامة للقضية لا تجرد الروايات من لحمها الفني ولا تحرمها من التصاقها بالارض المصرية التي ولدت على تربتها . ومن هنا ارى ان هذه الثلاثية الجديدة تعد ، من الناحية الفنية ، اكثر عمقاً من ثلاثية نجيب محفوظ الاولى والشديدة الالتصاق بالمناخ التاريخي الذي عبرت عنه . لأنها — اي الاخيرة — استطاعت ، الى جانب تعبيرها عن بعض ما في الواقع المصري من قضايا ، ان تحمل رؤية الكاتب العامة الى قضية الانسان في هذا العالم الجامح .

ويطرح الكاتب في « اللص والكلاب » قضية العلاقة بين الانسان والمناخ الاجتماعي الذي يعيش فيه ، والذي تتحدد ابعاد ازمته خلال دوامة الصراع بينه وبين مواضعاته . بينما يرسم في « السمان والخريف » الخطوط العامة لعلاقة الانسان بنفسه ورغبته في ان يوضعن هذه الذات التي يحبها وتعذبه وسط الواقع وان يجتاز بها اسوار الملل والهروب الثانوية . اما في « الطريق » فانه يكمل هذه الثلاثية بتقديمه قضية العلاقة بين الانسان والقوى الميتافيزيقية — او بمعنى اكثر تحديداً العلاقة بين الانسان والمطلق ، بين الانسان والله .

وعدم وضوح هذا المطلق وغيميته هو الذي يفرض على الرواية هذا الالتواء التكنيكي الشديد الذي يقع بها في احيان كثيرة بين براثن البوليسية . ولكن النظرة المستأنية المصوبة الى كافة ابعاد هذا العمل الروائي الفذ هي التي تستطيع ان تقع بنا على حقيقة كل هذه الاحداث المتعددة . ولنبدأ بأحداث الرواية ذاتها .

ان صابر يصحو فجأة على ابعاد واقع جديد وغريب ، تماماً كذلك الواقع الغريب الذي يستيقظ عليه أغلب ابطال الروائيين المعاصرين ، كمير وبيكيت وميردوك ومكارثي وغيرهم — اذ يكتشف بعد اكثر من ثلاثين عاماً من التخبط في وهاد اليتم ان اباه ما زال حياً . فينزاح الغطاء فجأة عن بشاعة الاكذوبة والحقيقة معاً ، ويكون عليه ان يعثر على هذا الاب الحي — الحي بطريقة مؤكدة : اين ؟ وكيف ؟

وتموت الام قبل ان تبوح بأي شيء من هذا . وبين دوامات اللامعنى يبدأ في البحث عن هذا الاب — ونرى هنا ما توحي به الابوة لفاقدها ثلاثين عاماً ، الذي لا يعلم عنه سوى بعض المعلومات العامة الاطلاقية . اسمه ، سيد سيد الرحيمي ، تأكيد للسيادة ثم إلحاقها بمعنى الرحمة ، وهو من

الاعيان ولا بد ان يعثر عليه ، فبدونه لن يذوق طعماً للعمل ولا للحب ولا للجنس ولا لأي شيء في هذا العالم . بدونه يستلب وجوده ويقع في هاوية التشيؤ .

لهـذا نحس بالتوتر الشديد الذي يكتنف كل العلاقات التي عقدها صابر خلال بحثه عن ابيه المفقود ، المفقود تماماً ؛ التوتر الشبقي الحاد في علاقته بكريمة ، والتوتر الافلاطوني الاكثر حدة في علاقته بإلهام ، ثم ضياعه الممزق بين العلاقتين دون جدوى — ذلك الضياع الذي يزج به في النهاية بين براثن الجريمة ويدفعه الى السجن في انتظار حدوث معجزة ، معجزة ظهور الاب المفقود، سيد سيد الرحيمي .

هذا هو الخط العام لأحداث الرواية ، وهي ليست — كما يقول لويس عوض — رواية بحث يمكن اضافتها الى ميثولوجيات البحث التقليدية ورواياته، كأوليس وياسون وتلماك و « يولسيز » جويس وغيرها . ولكنها تصور بالدرجة الاولى التمزق الرهيب الذي يعيشه الباحثون عن مثالية الفكرة عند الله . ذلك البحث الذي يصطدم كل لحظة بأسوار الواقع وبشكل حاد بدنيا يفضي في النهاية الى لا شيء . لا شيء على الاطلاق رغم التأكيد ، المنثور في ارجاء الرواية، بوجود هذا الاب المفقود، ولكنه ذلك الوجود العبثي الذي لا يسفر عن وجهه ابداً .

وبذلك تسجل الرواية عبثية البحث عن كل القيم الميتافيزيقية وخوائية الدروب المفضية اليها ، كما تسجل في الوقت نفسه استمرارية التصاق نجيب محفوظ بواقعنا المعاصر ومحاولته الدائبة لمرافقة خطى ازمات الانسان في مجتمعنا ، حيث تدفع به الدعائية في سراديب عديدة ما تلبث ان تفضي الى لا شيء . فالأب الذي قيل له — بصورة شديدة التأكيد — انه موجود ، لم يسفر عن وجهه حتى النهاية ، مؤكداً بذلك عدم وجوده قبل اي شيء آخر .

وقد كانت الخرافة القائلة بوجود هذا الاب واحدة من الاستار التي ميعت وجود صابر حينما انسدلت بينه وبين الواقع ، فتسللت رؤيته له من خلالها واضعة طابعها العبثي فوق كل الاحداث ، مساهمة في وضع تلك اللمسات الاخيرة فوق كل تصرفات صابر . وقد تأرجح تمزق هذه التصرفات بين رغبته في مواكبة علاقته المضيئة بإلهام ( التي تبدت له في الحلم ابنة لذلك الاب المفقود ) وبين شبقه بكريمة ، هذا الشبق الذي أعماه تماماً فساقه في النهاية الى الجريمة . وكان سبب الجريمة الرئيسي رغبته في البقاء في القاهرة ليواصل بحثه عن ذلك الاب اللغز المفقود الذي لم يسفر عن وجهه حتى النهاية ، رغم احساسنا باخلاص صابر في البحث عنه ، ورغم تأكيد الكاتب في الصفحات الاخيرة لوجوده . وهو التأكيد الذي جاء في آخر لحظة ليسدل غلالة من العبث فوق كل احداث الرواية .

وبهذا تكتمل الاجزاء الثلاثة للثلاثية الجديدة التي قدمها نجيب محفوظ والتي رسم لنا فيها رؤيته الخاصة لعلاقة الانسان بكافة القوى المحيطة به : علاقته بالخارج ، بالواقع الاجتماعي الذي يعيش ضمن اطاره ؛ ثم علاقته بالداخل ، بذاته التي يريد ان يحدد لها موقفاً من هذا الواقع ؛ واخيراً علاقته بالمطلق ، بالفكر المثالي ، بالقوى الميتافيزيقية التي اكد لنا خوائية البحث عنها وعبث التخبط في سراديب مثالياتها .

**ملك محمد**

**ترجو « حوار » جميع الذين يكتبون لها ان يوجهوا رسائلهم بالبريد المسجل**

# بايجاز : مسرحية ورواية وقصص

نقد موجز للكتب الآتية : «السائح والترجمان» لتوفيق يوسف عواد ( دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٦٤ ) و « الابواب المغلقة » لأمين يوسف غراب ( دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ ) و « لا بحر في بيروت » لغادة السمان ( دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٣ ) و «اعياد» لعبدالله نيازي ( دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٣ ) و « المساء الاخير » ليوسف الشاروني ( دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣ ) .

## السائح والترجمان

### مسرحية

« السائح والترجمان » مسرحية رمزية ذهنية . السائح هو طالب المعرفة ، جعله المؤلف امريكياً وأوحى بعقم وتدهور الانسان المتحرك في ثيابه ، والترجمان هو الدليل الموصل الى المعرفة . الا ان بطل المسرحية هو النحات بلا شك ، فهو رمز الانسان في العصور والاصقاع ، الذي يصارع وحدته وضجره وتصوره الشخصي بآلهة يخلقها ويشيد المعابد لها ، حتى اذا مل منها وادرك عقمها او زيفها او بلادتها حطمها وانصرف ينحت بإزميله آلهة اخرى تلاقي المصير نفسه .

في الفصل الاول يلتقي السائح والترجمان بعد ان يمهد صوت الزمان للقاء . وهنا يخبر الترجمان السائح انه سيلتقي بالآلهة ويتحدث اليهم . وفي الفصل الثاني يظهر النحات، اشارة انه الاله الحقيقي، ويسقط على السائح بمشاكله الازلية، التي هي مشاكل الفلسفة والميتافيزيق والوعي . ونجح الفصل الثالث في ابراز الملهاة – المأساة في حياتنا المعاصرة : لقد انحدر الانسان من نحات الى سائح ، من خالق الى متفرج. وامتلأت منصة المسرح بالمتسولين والرواحين والحثالات ، الذين يسميهم المؤلف جماعة الحمار ، جماعة الحمل ، جماعة السعدان ، جماعة الثعبان ، جماعة القهوة ، والبصارة ؛ وجميعهم يسألون السؤال الابدي : هل ينتهي الشقاء ؟

لم يهتم الكاتب بالتقنيات المسرحية . بل ويمكن القول انه تخطاها جميعاً ، ولم يبق على المسرح الا ما كان رمزاً ، كالآثار والظلال والاصوات . وفي الفصل الثاني تتوقف الحركة المسرحية في معظم الحالات ، ويغدو الحوار الذهني سيد الموقف . ويشتد ذلك في الفصل الثالث، اذ تتحول المسرحية الى مناقشة كونية يعرض المؤلف فيها آراءه بشفتي رجل المريخ الذي يهبط الى الارض ليرى ما يجري فيها . وينخفض التوتر هنا .

وفي المسرحية شيء اسمه صوت الزمان ، لم يضف شيئاً لها، بالرغم من شاعريته وطلاوة عبارته؛ بل انه على العكس اخذ الجو المسرحي وفضح الرموز . وهناك ايضاً رجل المريخ ، الذي قصد به الاشارة الى كونية المشكلة الانسانية ، والذي يرمز ايضاً الى الوعي . على البشر ان يعرفوا انفسهم ويلتزموا بدائرتها ، يقول رجل المريخ . ان ما وراء ذلك الظلمة والشر . وهذا ما ينقص النحات: انه لا يستطيع الاكتفاء بذاته . والمؤلف يدعو الى الرضى والقناعة كحل وحيد لمشكلة النحات الذي لا يرضى ابداً .

## الابواب المغلقة

رواية

يعتقد امين يوسف غراب ، مع جيل كامل من كتابنا وسينمائيينا، بأن الحوادث الرهيبة والاستثنائية والحالات التي ينتصب بسببها شعر الرأس ، هي وحدها الجديرة بدفاف الكتب . جريمة غامضة مريعة تذهب ضحيتها سيدة تخطت الاربعين مشهورة بشرفها وعفتها وغناها . ويتعقب القضية قضائي شاب سرعان ما يكتشف ان المتهمة ، وهي راقصة رخيصة تدعى زينات ، ابنة للقتيلة ولدت سفاحاً ، وانها لا تعرف حقيقة امها . وبعد ذلك يكتشف انها بريئة وعذراء . وتحوم الشبهة حول خادم السيدة ، عم دسوقي ، ولكن دسوقي يقتل لسوء الحظ . وهكذا تسجل القضية ضد مجهول وتحفظ. وبقدرة قادر يحب القضائي الشاب الراقصة زينات حباً غريباً يملك عليه حياته فجأة ، فيلاحقها من مكان الى مكان حتى يعثر عليها ويفرش لها شقة صغيرة . الا ان المؤلف يؤكد، كلما سنحت الفرصة، على قدسية هذا الحب وروحانيته وطهره ، وعلى ان عيني الشاب لم تدنسا يوماً بشهوة ولا باختلاس نظرة . اما لماذا احبها اذاً فالسبب بسيط وهام : فلكي تتم سلسلة الحوادث الخارقة يكتشف الشاب ان الفتاة ابنة القتيلة هي اخته لأبيه ، وان الاب ، زيادة على ذلك ، قتل الام لانها هددته ، وهو على اعتاب معركة انتخابية سترسله للوزارة ، بأنها ستفشي السر ما لم يتبنّ الفتاة. وتنتهي القصة بانهيار الشاب عصبياً ( بالنيابة عن القارىء ) : فقد قدم والده للمحاكمة ، مستجيباً لصوت الضمير ومخرساً صوت العاطفة. انه من النوع الذي ان تعطه مليون جنيه مقابل لحظتي نذالة لما فكر بالقبول . ولا ينسى المؤلف ان يشير الى القدر الذي يربط رقاب الناس بخيوط عنكبوتية صدئة ولكنها لا تقطع ، والذي ان تعطه مليون جنيه مقابل لحظتي اعتدال في موقفه لما قبل . وثمة ايضاً التأمل الفلسفي والاخلاقي في مصير المجتمع والانسان ، ثم الصراع الخالد بين العقل والقلب الذي يتخذ شكل حوار ذهني شديد الشبه بالتقارير الصحفية ، والذي لم يمل منه بعد امين يوسف غراب .

## لا بحر في بيروت

قصص

في احدى مقابلاتها الصحفية تقول المؤلفة انها اطلقت اسم «لا بحر في بيروت» عنواناً لكتابها الجديد « لان هذه العبارة تحمل اقصى معاني الرفض والشك والقلق والالحاح على ايجاد قيم جديدة تكون لنا جذوراً جديدة لا تنقصها الأصالة ولا يعيقها التحجر والجمود » .

يفترض بالاطلس الذي يحمل العبارة السابقة على كاهليه البشريين ان — على الاقل — يضع وجدان القارىء على حد الموسى . فماذا في الكتاب ؟ يتسم الكتاب بطنين متواصل وافاضة وتحجيم شوارد ذهنية . الصورة دائماً رائعة ومبدعة ، ولكنها غير مناسبة للسياق ، او هي اكثر مما يتطلبه ، وتكاد غالباً ان تكون مقصودة لذاتها . اتعب الاسلوب جميع الرموز والمعاني وأشحبها ، وافقدها معظم دلالاتها . يندر ان يخلو اسم من صفة او اثنتين . يستحيل القلم الى منفاخ وتستحيل التجربة الى بالون زاه يتمدد الى ما قبل الانفجار . داخله تتحرك انثى واحدة تنتظم جميع نسخ التجربة . انثى كاذبة — وتعرف ذلك ؛ توهم نفسها بأنها تقامر بقيمها — وتعرف ذلك ؛ وتقتنع بأنها تتمزق — ويبهجها ذلك . تتحرك دائماً لئلا يتبدد وهمها ، وعينها على العالم الخارجي . عندما تسقط في قاع وحدتها النفسية حيث تبدأ التجارب الحقيقية تثب ثانية الى العالم الخارجي وهي تقرع الطبول «لحكاية

تشرد جديدة » . ان علاقاتها المتلاحقة مع الرجال مجرد شطحات قلم غزير الحبر ، تأطرت في جو برجوازي ليس فيه ادنى معاني الرفض والشك والقلق الخ . ولكي تطرد الكاتبة انتباه القارىء الى ذلك تقيم عوالم وتستنهض شخصيات وتحقن حوادث وتضاجع اللغة وتفجر اعصاب الكلمة ، فيتبخر الاحساس بواقعية الحدث دون ان يصل الامر بالقارىء الى رجمها بالحجارة . وتستسلم الانثى لطنين عالمها المسحور السندبادي ، وتصبح ظاهرة الحلم في الكتاب اشبه بجملة « افتح يا سمسم » . ولاستمرار الحلم استعانت الكاتبة بالرموز. والرموز حية ، حيوية ، قصد بها التعبير عن آفاق متعددة لشخصية واحدة هائجة ومبهرجة . والرموز مستعارة برمتها، بلهاء كامرأة فاتنة غبية، ومصطنعة كجميع تجارب المجموعة ، بحيث اعدمت فاعلية الحلم في يقين القارىء . ان الانثى في ما يبدو اجتراحها للقيم واستباحتها لنفسها كانت تشعر في قرارتها بالكذب والروغان . وهذا يفسر تدويم القصص كلها على نفس الحادثة والتجربة والحركات والرموز . فلو ان تجربة واحدة اكتملت في خاطر الفنان الذي يخرجها، لما احتاجت للتكرار. ولكن كيف تكتمل تجربة لم تعش ، وكيف تعاش تجربة كتجربة « لا بحر في بيروت » فتفضي، لا الى اقصى معاني الرفض والشك والقلق الخ ، بل بدلاً من ذلك الى هذه العبارات الشيشرونية : « لا بحر في بيروت للذين لا بحر في نفوسهم... بيروت يا حلوة، يا حزينة ، يا وجهك الملطخ بالاصباغ ، لست مزيفة ولكن الاصباغ صارت جلد العالم ، ولست شريرة لانك دمشق وباريس والصين وكل مكان... ولأنك من نفوسنا ... ويوم نجد بحرنا يعود اليك بحرك ». ما معنى هذا الحكي ؟

لعل هذه هي الخصائص التي جعلت « لا بحر في بيروت » مجموعة « ناجحة » : فهي ، كتعبير عن جيل الرفض الذي يصنع الثورة في الوطن العربي ، صادقة وواقعية مائة بالمائة . انها وثيقة تكشف التبلون الثوري، والفقاقيع التي تملأ ادمغتنا الثورية، وكل هذا الصخب والضجيج الذي لا طائل تحته .

---

## أعيـــاد

### قصص

يستطيع عبدالله نيازي، بالرغم من الفقر الفني، ان يشعر قارئه بمعاناته الشخصية . وتتراوح معاناته بين البخر والغليان والاحتراق بمقدار ما يقترب من واقعه اليومي . وهي ذات ابعاد ثلاثة : فردية واجتماعية وقومية . وترتكز المجموعة على احاسيس نبيلة عفوية سائحة ، وتتميز بعين لاقطة وذاكرة قوية . وتتسم الشخصية الرئيسية بثورية اصيلة حساسة . والاحساس والثورية يشتركان في اقناع القارىء بأن قصة « اعياد » حقيقية بالرغم من ابتسارها ، حيث تبرز صفات البطل ، من عصبية وسخط ووعي ويأس .

الخطابة علة المجموعة الاولى ، والكاتب يوقف نسيج القصة ليعظ او ليبث حماسه القومي والثوري. وهو ايضاً يقول الاشياء بمباشرة مؤسفة ، وفي قولها يبقى ضمن اطار عائم وتقليدي : الشعور الانساني ازاء الفقراء ، فيض النزوع نحو الاخوة العربية الكردية في العراق ، الصبوات القومية المشرشة في النفس . وهو لم يستطع ان يمتص الجو والحدث ، ولا ان يعايش المشكلة بعيداً عن النرفزة او عن الفضفضة العاطفية. وحيث يصبح الجهد الفني ضرورة للخلق العظيم يستسلم المؤلف الى السهولة ، فتسقط اللقطة القصصية وتستحيل من محرق غني بالمعاني والايحاءات الى مقلع للحجارة ومنجنيق . واقرب طرق السهولة هي المبالغة : القول دائماً اكثر مما يقال عنه ، سواء في الوصف او الحركة او الانفعال . وفي تلك الحالات يخرب المؤلف ما بناه في ترصده للحادثة وتنسيته لها .

لقد ضل الوعي القومي والنفسي الذي تميزت به المجموعة طريق الوعي الفني . وهنا تتكرر مرة اخرى – بعد غادة السمان – مشكلة الخلق . انها ازمة ؛ وهي ليست ظاهرة في الادب فقط بل في جميع نواحي حياتنا ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية. في الاذهان اشياء جبارة، وفي الصدور عواطف جياشة ، وفي الأعين رؤى متوهجة ؛ ولكن عبد الله نيازي لم يخرج منها واقعاً صلباً . انه يعي ما حوله ، ويستطيع ان يحس بالخيوط الانسانية في العلاقة الواقعية التي يراها ، ولكنه يسقط في اساليب الخلق التقليدية المتوارثة التي لم تعد ترضي فضولاً ولا تشبع نهماً .

## المساء الأخير

### أناشيد

هذه اناشيد صوفية يلحن بها الشاعر واقعه الصلد وقد خبره جيداً . لقد استوت الخيبة والسعادة والوعي في تجاوز وديع جعل من النفس ذوباً عاشقاً. في عفوية وحلم ينساب التعبير الدقيق القوي مخاطباً خيال القارىء وعواطفه . نحن هنا امام احاسيس واقعية صاغتها لغة شاعرة . ويعالج الكاتب بحذر ذكي بقاءه بعيداً عن الرومانسيات المراهقة والتوهج العاطفي الخادع. اننا لا ننفصل عن التراب والروائح والالوان . نحن دائماً على صلة بالبشر اليوميين ، اذا صح التعبير . ولكن العين التي تراهم تجعلهم بلوراً دافئاً . النيل والشارع والمساء والمدينة تنعجن في لبنة عاطفية مستسرة، وتتحرك في ضمير لا ينضب ولا يسخط ولا يحقد. وتمتلك الاناشيد مزية الاقناع، فلا هي مفتعلة ولا هي مبهرجة . ولتمكن الكاتب من لغته الفضل الاول في اضفاء هذا الصدق عليها. فهو يعرف متى يضع الكلمة المشحونة الشديدة الايحاء. الا ان المزية هذه اضعفت تلقائية المخاطبة: فالاناشيد متقنة ومشغولة باتقان مسرف ، وبانتظام لا يصدر عن نجاوى العشاق . ولا يسود الانسجام بين متانة الاسلوب وبين القول الا في النصف الثاني فقط . هنا تصبح الاحدوثات اعمق ، ويستحيل الانفعال الى رؤى واضحة، ونجد اشياء رائعة مثل « مجد في غسق » و « طفل » . وننتقل بالتدريج من الاناشيد الصوفية الى معاناة الخلق والزمن . مرة واحدة فقط تمر التجربة الحقيقية في عمر الانسان. ولقد كف المؤلف الآن عن مناداة حبيبته بأن تحافظ على هذه التجربة ، وصار الفنان في ذاته يتحدث عن الخلق . وفيما هو يحلل بالنفس الشعري المألوف شروط الفنان يحس بأن الزمن مركبته التي تندفع به الى النهاية . الزمن ومروره المحزن سيد المواقف . والفنان يحس ذلك ، ويخافه ، ويحاول ان يتقي الخوف باقتناص الخلق .

**هاني الراهب**

## تخطيط المدن في العالم العربي

صدر في الشهر الماضي عن دار المعارف بالقاهرة كتاب « تخطيط المدن في العالم العربي » . وهو يشمل المحاضرات التي ألقيت في المؤتمر المنعقد في القاهرة في ١٩٦٠ تحت رعاية جمعية المهندسين المصرية والمنظمة العالمية لحرية الثقافة . وقد قام الاستاذ مورو بيرغر بمراجعة الكتاب والدكتور ابراهيم مدكور بتصديره.

وكان قد سبق ان ظهرت الطبعة الانكليزية لهذا الكتاب نفسه ، ونشرت « حوار » مراجعة له بقلم عاصم سلام في عددها السابع .

للاشتراك بمجلة « حوار » الرجاء الاتصال مباشرة بها ، او مراجعة متعديها والمكتبات المختلفة التي تباع فيها :

في لبنان : في جميع مكتبات بيروت والمناطق .
في سوريا : عبد الرحمن الكيالي ( دمشق ) .
في الاردن : رجا العيسى ( عمان والقدس ) .
في العراق : مكتبة المثنى ( بغداد ) .
في ج.ع.م. : مؤسسة الاهرام للتوزيع ( القاهرة ) .
في السودان : ص . ا . دويك ( الخرطوم ) .
في المغرب : سوشبريس ( الرباط ) .
في تونس والجزائر وليبيا : الشركة التونسية للتوزيع ( تونس ) .
في العربية السعودية : مكتبة جدة ( جدة ) ، مكتبة الحياة ( الرياض ) ، محمد زين العابدين ضياء ( المدينة ) .
في قطر : مكتبة العروبة .
في البحرين : فاروق ابراهيم عبيد .

●

وتعلن هذه المجلة انه ما زالت لديها كمية محدودة من الاعداد التسعة السابقة ، وهي تبيعها بالسعر المعتاد ( اي ليرة لبنانية واحدة او ما يعادلها لكل عدد ) ، ومن ابرز كتابها :

١ : سهير القلماوي . عبد الرحمن بدوي . جبرا ابراهيم جبرا . ت.س.اليوت .
٢ : جميل صليبا . محمد الماغوط . دني ده روجمون . لورنس ضريل .
٣ : نجيب محفوظ . جمال احمد . زكريا تامر . بيير ايمانيويل .
٤ : ابراهيم مدكور . مجدي وهبه . ليلى بعلبكي . هنري ميلر .
٥ : بدر شاكر السياب . انيس صايغ . فؤاد جميل . البرتو مورافيا .
٦ : صلاح عبد الصبور . غالي شكري . جوليانا ساروفيم . اوجين يونسكو .
٧ : مراد كامل . يوسف صايغ . عبد المنعم ابو بكر . وليد اخلاصي .
٨ : احمد بن بيلا . فايز صايغ . سلمى الخضراء الجيوسي . الدوس هكصلي .
٩ : وليد الخالدي . مجيد خدوري . فؤاد كامل . عيسى الناعوري .